



المتغيرات الفكرية والسلوكية في التصوف المشرقي - الفتوة والملازمة - أنموذجاً (دراسة تاريخية)

م.م أحمد رحيم صبر الحسيني

أ.د محمد حسين علي السويطي

ali2ooep@gmail.com mohali@uowasit.edu.iq

جامعة القادسية/ كلية التربية/ قسم التاريخ

الملخص

ان غاية هذا البحث، التعرف على الصيرورة التاريخية للمتغيرات التي دخلت على التصوف الإسلامي وهي خطوة ستأخذنا من دون ريب الى معرفة الكثير من المفاهيم والتصورات والتيارات الفكرية والأحداث التي شكلت بناءه النظري والعملية والشخصيات التي تركت بصمتها في مساره التاريخي، مستعرضين كلا من الفتوة والملازمة اللذان ومدى تأثيرهم وتأثرهم بالتصوف، حيث تعني الفتوة الشجاعة والنبيل والشهامة، بينما تعني الملازمة سلوكاً قائماً على لوم النفس وإخفاء الصلاح والتدين والتقرب إلى الله دون طلب الشهرة أو المدح، مركزين على نشأت الفتوة كفكرة إصلاحية سبقت التصوف الإسلامي، وكيفيه انتقالها إلى التصوف، لتكون سلوكاً عملياً مكن التصوف من الاحتكاك المباشر والفعال بالمجتمع، ومستعرضين الملازمة مع بيان اهدافها في محاربة الرياء وإخفاء الأعمال الصالحة، لتتطور فيما بعد الى سلوكيات غريبة وغير مرغوبة فيها لا ضمن مؤسسة التصوف فقط بل في المجتمع المحيط بها ايضاً.

الكلمات المفتاحية التصوف - المشرق الإسلامي - الفتوة - الامام علي - الملازمة - الزهد - الرياء -

الصوفي الأعظم - الملازمة



Intellectual and Behavioral Variables in Eastern Sufism – Chivalry and Malamatiyya – A Model (A Historical Study)

Assistant Professor Ahmed Rahim Sabr Al-Hussaini

Prof. Dr. Muhammad Hussein Ali Al-Suwaiti

University of Al-Qadisiyah / College of Education / Department of History

Abstract:

The aim of this research is to understand the historical process of the changes that have occurred in Islamic mysticism, which will undoubtedly lead us to knowledge of many concepts, perceptions, intellectual currents, and events that have shaped its theoretical and practical framework, as well as the personalities that have left their mark on its historical path. We will review both the concept of futuwa and the malamatia, examining their influence on and interaction with mysticism, Futuwa means courage, nobility, and gallantry, while malamatia refers to a behavior based on self-blame and concealing righteousness and piety, seeking closeness to God without seeking fame or praise. We will focus on the emergence of futuwa as a reformist idea that preceded Islamic mysticism and how it transitioned into mysticism, becoming a practical behavior that enabled mysticism to engage directly and effectively with society. We will also examine the malamatia, highlighting its goals in combating hypocrisy and concealing good deeds which later developed into strange and undesirable behaviors not only within the institution of mysticism but also in the surrounding society.

Keywords: Sufism – Islamic East – Chivalry – Imam Ali – Malamatiyya – Asceticism – Hypocrisy – The Greatest Sufi – Blame



المقدمة

التصوف الإسلامي هو تيار روحي داخل الإسلام يركز على التزكية والأخلاق والتقرب إلى الله من خلال ممارسة الزهد والرياضات الروحية، بدأ كحركة زهد مبكرة في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، ثم تطور إلى مذهب فكري ومنهج عملي، وشهد التصوف الإسلامي تطوراً تدريجياً في المشرق الإسلامي⁽¹⁾، حيث تأثر بالثقافات محلية وأخرى عالمية وأنتج هذا التأثير تراثاً غنياً من الفكر والأدب، ونتيجة للتماس المباشر مع تلك الثقافات والمؤثرات المتباينة الاجتماعية والدينية والسياسية، ظهرت عليه تغيرات سلوكية وفكرية مختلفة⁽²⁾.

وفي الحقيقة لابد لنا من مرور سريع وموجز على قضية التصوف الإسلامي، حيث لابد من الإشارة الى انه يوجد تعريفاً شاملاً للتصوف، حتى قيل أن هذا الأمر مستحيل⁽³⁾، ولكن وردت بعض التعريفات التي تعبر عن وجهات نظر مختلفة تمثل اراء أصحابها فقط فقيل: "التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى"⁽⁴⁾ وقيل: "أخلاق كريمة ظهرت في زمن كريم من رجل كريم مع قوم كرام"⁽⁵⁾ وعن أصل تسمية التصوف هناك عدة فرضيات، فقيل ان اسم التصوف مشتق من (الصوف)⁽⁶⁾، وقيل جاءت التسمية نسبة الى كلمة (صوفة) وهم قبيلة تخدم الكعبة أيام الجاهلية⁽⁷⁾، وايضاً نسب اسم التصوف الى أصحاب الصفة وهم مجموعة من المهاجرين من أصحاب النبي الاكرم محمد(صل الله عليه واله وسلم) اتصفوا بالفقر والزهد⁽⁸⁾، وقيل ايضاً ان التسمية مشتقة من (الصفاء) لان مكنون هذه الكلمة يشير الى طبيعة الصوفية من ناحية صفاء القلب ونقاء السريرة⁽⁹⁾، وغيرها الكثير من النظريات الأخرى التي تناولت اصل تسمية التصوف الإسلامي⁽¹⁰⁾، ولكن يرجح ان اصل التسمية جاء بناءً على ظاهر اللبس الذي اتخذته الصوفية الا وهو الصوف⁽¹¹⁾.

كان ظهور التصوف الإسلامي بصورة مستقلة حاملاً اسماً بارزاً قد نتج عن عدة أسباب: أهمها الحروب المستمرة والنزاعات السياسية على الحكم والسلطة فضلاً عن الاختلافات الدينية والمذهبية والتمايز في العادات والتقاليد بين قوميات المجتمع وأعراقه، حتى تمخضت هذه الأمور وغيرها من الجزئيات الأخرى عن بيئة خصبة وحيوية للقلق، جعلت الكثير من شخوص المجتمع يلتمسون أهمية الركون الى تكتل جماعي يمتن أواصرهم الروحية، لتقليل فورة تلك التقلبات غير المألوفة لديهم⁽¹²⁾.

فتوسع التصوف وانتشر بسرعة وانتقل بصورته الإسلامية الى أماكن مختلفة، فكانت بلاد فارس أول محطاته ثم توسع بالمناطق المجاورة حتى بلغ بلاد ما وراء النهر، فكانت نشأته في بلاد العرب وخصوصاً العراق ثم نما وتطور ومر بمراحل وأطوار مختلفة حتى أصبح كياناً دينياً مستقلاً حمل بين طياته مفاهيم وقيم خاصة به وأصبح له رجالات يشار لهم بالبنان ومدارس وجماعات ترتبط فيما بينها، وهنا لابد من بيان أن التصوف الإسلامي في المشرق لا يختلف عن التصوف في البلاد الإسلامية الأخرى ولا سيما العربية منها من حيث أسباب الظهور والانتشار⁽¹³⁾.



المبحث الاول - الفتوة:

جاء التعريف اللغوي للفتوة في كتب المعاجم اللغوية، بعده أوجه منها "هو فتى بين الفتوة، وقد تفتى وتفتى، والجمع فتيان وفتية وفتو، على فعول، وفتى مثل عصي"⁽¹⁴⁾، أي انه شاب تميز بين أقرانه بمكارم الاخلاق ومنها الإغاثة والنجدة والسخاء، وانه قوي عصي على خصومة، ومتغلب على غيره وايضاً "هو فتى بين الفتوة وقد {تفتى} وتفتى {وفتوتهم} أفوتهم: (غلبتهم فيها)، أي في الفتوة"، أي بمعنى انه قد تميز بين اقرانه من الفتوة سواء من منطلق المدلول العمري او المدلول الانتمائي سواء اكان اجتماعياً او دينياً وايضاً، أي بمعنى غلبهم (الفتوة) "بالضم والتشديد... وقد تقدم الكلام على واوه: (الكرم) والسخاء، هذا لغة؛ وفي عرف أهل التحقيق أن يؤثر الخلق على نفسه بالدنيا والآخرة. وصاحب {الفتوة، يقال له: الفتى، ومنه: لا فتى إلا علي"⁽¹⁵⁾، وتدل هنا على طبيعة الكرم التي تميز بها الفتى والسخاء الذي يميزه عن غيره، بالإضافة الى الشجاعة والنجدة التي يتصف بها كما هو الحال مع الامام علي عليه السلام، وبالتالي يمكن القول: ان الفتوة تكون جامعة للمثل والقيم التي يستحسن ان تتواجد في المسلم وتتمثل به.

اما تعريفها في الاصطلاح فقد قيل: بأنها "الفتوة أن لا ترى لنفسك فضلاً على غيرك"⁽¹⁶⁾، وأن "الفتوة أن تنصف ولا تنتصف"⁽¹⁷⁾، وأنها "حسن الخلق"⁽¹⁸⁾ و "أن لا تنافر فقيراً ولا تعارض غنيا"⁽¹⁹⁾، ومن خلال التعاريف أعلاه نستشف وبصورة جلية ان الفتوة تدعو الى مكارم الاخلاق التي هي أساس الإسلام وصلاح المجتمع.

وتعد الفتوة من المتغيرات الفكرية والسلوكية التي دخلت على التصوف الإسلامي في المشرق وتأتي تحت مسمى (جوانمردی) باللغة الفارسية، لذلك نلاحظ قضية رواجها وانتشارها وتأسيسها لجماعات الفتیان من الجوانب الضرورية في تاريخ التصوف المشرقي، وترجع في أساس فكرتها الى ما قبل دخول الإسلام في إيران، حيث انتشرت مجموعات من الناس المناصرين للحق والعاملين على اظهاره ونصرة المظلوم وارجاع الحقوق لأهلها ومستحقها، ولا يعرف بالضبط متى ظهرت لكن يرجح انها ظهرت في تلك الفترات التي ساعد فيها التمايز الطبقي في المجتمعات المشرقية، حينها ظهرت تلك الجماعات وأصبحت ذات حبة ومكانه مرموقة عند الطبقات العامة من المجتمع وكانت اقرب بكثير اليهم من الطبقات الخاصة والعليا ضمن المجتمعات المشرقية⁽²⁰⁾، بدليل ان الفتوة اقدم من الإسلام وانها كانت موجودة في جزيرة العرب حيث تغلغت جذورها الأخلاقية عند العرب وبين المكونات البدوية بالخصوص، وأصبحت من المثل العليا للفتى العربي، وتجلت في طائفة من الفضائل النبيلة مثل المروءة والفروسية والكرم والإغاثة⁽²¹⁾.



وكانت الفتوة في مختلف البلاد الاسلامية تتكون من مجموعة من الشبان البالغين يتراسهم شخص كبير في أغلب الأحيان ويتميز عنهم بصفات كثيرة توهمه الى تولي القيادة، بحيث يكون كل المنتسبين في طاعته وسماع أوامره، كما ان هؤلاء الرجال ينحدرون من أوساط اجتماعية مختلفة وإعراق كثيرة لا يوجد بينهم تمايز طبقي او عرقي، كما انهم لا يرتبطون بقيود اسرية ولا أوامر قبلية⁽²²⁾.

واستمرت ظاهرة الفتوة في المجتمعات المشرقية، حتى جاءت المانوية حيث قويت شوكة أتباعها بعد ان دعت اليها المانوية، وساندتها اجتماعياً ودينياً، واخذت بالتشكل والقوة مرة أخرى في العصر الاموي وخصوصاً في نهاياته بسبب كثرة المظالم التي لحقت اهل المشرق من قبل الامويين وشويع الفقر والذل والهوان، فشكل ذلك الامر جماعات يذوبون عن الضعيف ويتصفون بالإيثار ويضحون بأنفسهم في سبيل العدل والخلق الكريم⁽²³⁾، ثم كان ظهورها الاخر الذي يعتبر اقوى من السابق في فترات ظهور الحركات الشعبية - كما مر بنا في الفصل الأول - وتحديداً بعد الربع الاول القرن الثاني الهجري، اذ تمركز اغليها في مشرق بلاد فارس وخراسان، ويمكن القول انها كانت حينها ردة فعل عنيفة على المظالم التي لحقت بالمجتمعات هناك، وخصوصاً بعد النكسة الكبرى التي تعرض لها أهل خراسان حينما قتل القائد الكبير أبا مسلم الخراساني سنة (137هـ/754م)⁽²⁴⁾ بأمر من السلطات العباسية⁽²⁵⁾، ثم تعاظم امرها بعد ظهور دول المشرق الإسلامي وضعف السلطة المركزية للدولة العباسية، وسيطرة العناصر الأجنبية على مقاليد الحكم في حاضرة الخلافة العباسية بغداد⁽²⁶⁾.

ولم تبقى الفتوة محبوسة في عالمها الخاص، وانما دخلت الى عالم التصوف وأصبحت جزء مهم منه⁽²⁷⁾ حيث نجد أن التصوف الإسلامي في المشرق اقد ترك تأثيراً كبيراً وملموساً على عادات وتقاليده الفتوة خصوصاً من ناحية السلوك الديني، وما يحتمه من ناحية والواجب الأخلاقي، ومع بدايات التطور الذي حصل للتصوف وظهور الجماعات الصوفية، عمل شيوخ تلك الجماعات على حث المريدين على الانخراط في الجماعات والتطرق التابعة لهم، ونجح الامر في أغلب الأحيان وانضم الكثير الى هذا المسلك الديني واصبحوا مطيعين لشيخهم وغالباً ما كان شيخهم يطلق عليه لقب (القطب)⁽²⁸⁾.

حاول أرباب التصوف ان ينسبوا سلوكهم في الفتوة الى مصادر التشريع الإسلامي -القران الكريم والسنة النبوية- فنجد القشيري(ت465هـ/1072م) قد افتتح باب الفتوة في كتابة بقول الله تعالى: "إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى"⁽²⁹⁾ ثم يورد بعدها حديثاً مروياً متصل السند عن رسول الله (صل الله عليه واله وصحبه وسلم) حيث قال: "لا يزال الله تعالى في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه المسلم"⁽³⁰⁾، واستعان اهل التصوف بالآيات القرآنية التي ذكرت تلك الكلمة باشتقاقات عدة ومنها قوله تعالى "إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا"⁽³¹⁾، وقوله



تعالى " وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجَنَ فَتَيَانِ ⁽³²⁾، واقترن ذكر الفتى بمعنى صاحب والصديق كما في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا" ⁽³³⁾.

وكان لانتشار الظلم والاضطهاد لطبقات المجتمع المختلفة، عاملاً أساسياً لدخول الفتوة ضمن حيز التصوف الإسلامي في المجتمع بالإضافة الى محاوله رجال التصوف التأثير في المجتمع والسياسة من خلالهم، ناهيك عن رغبة رجال التصوف بتوفير الحماية للاتباع والمريدين من خلال هذا التشكيل الشبه مسلح، ومنذ شيوع ظاهرة الفتوة بين الصوفية عمل كبار الصوفية هناك على ترويح هذه المسألة بين الخواص والعوام، وكان اول الفتوة والدعاة اليها من مشايخ المشرق الإسلامي هم أبو حامد احمد بن خضروية (ت240هـ/854م) ⁽³⁴⁾، وأبو الحسن علي البوشنجي (ت348هـ/959م) ⁽³⁵⁾، وأبو حفص عمر بن سلمة الحداد (ت264هـ/877م) ⁽³⁶⁾.

ومع الفتوة والحديث عنها نجد نصاً للسلمي شرح أنواع الفتوة وشماثلها مبيناً كل الأصناف التي يجب ان تستعمل فيها الفتوة من الصوفي نصه "أن الفتوة هي الموافقة وحسن الطاعة، وترك كل مذموم، وملازمة مكارم الأخلاق ومحاسنها، ظاهراً وباطناً وسراً وعلناً، وكل حال من الأحوال، ووقت من الأوقات يطالبك بنوع من الفتوة فلا يخلو حال من الأحوال عن الفتوة. فتوة تستعملها مع ربك تعالى، وفتوة تستعملها مع نبيك صلى الله عليه وسلم، وفتوة مع الصحابة، وفتوة مع السلف الصالحين، وفتوة مع مشايخك، وفتوة مع إخوانك، وفتوة مع أهلك وولدك وأقاربك، وفتوة مع ملكيك كرام الكاتبين" ⁽³⁷⁾.

إذا الفتوة لابد لمن يسلك طريقها وفق المنظومة الصوفية ان يتسم بكافة الاخلاق الحميدة، وان يميز بين واجباته وحقوق الغير وإعطاء كل ذي حق حقه ابتداء بخالقه الله جل شأنه مروراً بالنبي الكريم (صل الله عليه واله وسلم) والصحابة الكرم وعائلته ووالديه وانتهاء بالملكين الكرام الكاتبين فكل منهم له حق في فتوته التي تتمثل بنبل الاخلاق.

وقد أورد السلمي احاديث نبوية كثيرة خصت اخلاق الفتوة وتحثهم على مكارم الاخلاق ومنها ما ورد في حديثه عن "الملاطفة مع الإخوان، والقيام بحوائجهم" ⁽³⁸⁾ حيث ذكر ان رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) قال: "من ألطف مؤمناً أو قام له بحاجة من حوائج الدنيا، صغر ذلك أو كبر، كان حقاً على الله أن يخدمه خادماً يوم القيامة" ⁽³⁹⁾، ومن أخلاق الفتوة هو الابتعاد عن تتبع عثرات وعيوب المسلمين وفي ذلك الشأن يورد قول النبي الاكرم (صل الله عليه واله وسلم): "إنك إن اتبعت عثرات المسلمين، أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم" ⁽⁴⁰⁾، وأيضا ما أورده في خصوص الضيافة واکرام الضيف فاستشهد بحديث رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) حينما قال: "بئس القوم قوم لا ينزلون الضيف" ⁽⁴¹⁾ ومن اخلاق الفتوة أن تعامل الناس كما تحب أن يعاملوك به، وروي عن رسول (صل الله



عليه واله وسلم) الله انه قال: "أحب للناس ما تحب لنفسك، تكن مؤمناً"⁽⁴²⁾، هذا والكثير من الوصايا التي أوردتها السلمي (ت412هـ/1021م) بخصوص أخلاق الفتوة وكان قد عزز كل ما أوردته بحديث نبوي شريف⁽⁴³⁾.

وقد ظهرت الفتوة الصوفية اول الامر في مدينة نيشابور، وكان فتياتها قد اخذوا تعاليمهم من شيوخ التصوف هناك، وقد نسبوا اصل انتمائهم الى شخص الامام علي عليه السلام واقاموا مشجرات انساب وسلاسل لعلمائهم وفتيانهم تتصل به مباشرة، وهي رغبة منهم في طريق الكمال الزهدي والتحلي بمكارم الاخلاق، مستمدين كل ذلك مما اتصف به الامام علي عليه السلام⁽⁴⁴⁾، نعم تلك هي صفات الامام علي عليه السلام التي اخذ بها أصحاب الفتوة من الصوفية ومن الملاحظ ان تلك الاخلاق هي اسمى وارفح ما بلغته كانت في شخص الامام علي عليه السلام، وكيف لا وهو الرجل الشجاع ذو الخلق الرفيع والكرم الكبير الذي المؤثر على نفسه أصحابه في كل خير، وهو الذي زهد بالدنيا ولم يبحث عن مصلحة لنفسه بل كان همه الشاغل اخوانه من المسلمين، وهو الذي بات في فراش الرسول ليلة الهجرة وعرض نفسه لخطر الموت⁽⁴⁵⁾.

كما اقتدى رجال الفتوة من الصوفية بما عرف عن الامام علي من سخاء ومروءة وهما من اهم الصفات التي يتوجب ان يتصف بها الفتى، وهي صفة ذكرها تعالى في كتابه الكريم حينما قال: "وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿١٠٠﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا"⁽⁴⁶⁾، اذ عد الصوفية ممن نادى بالفتوة ان هذه الآيات خير معيار للمروءة والسخاء والايتار، وشمل بعضهم بتلك الصفات كل من قصده ونزلت بحقه الآيات المباركة من آل البيت (عليهم السلام) وهم السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء والحسن والحسين (عليهم السلام) الى جانب الامام علي عليه السلام⁽⁴⁷⁾، واعتبروهم ملهمين لهم في طريقهم هذا لما اتصفوا به من فضائل ابرزها الكرم والسخاء والشجاعة والمروءة، التي اتسموا بها وفاقوا بقية الخلق من الناس⁽⁴⁸⁾، وخص الصوفية الامام علي وجعلوه مشرباً وموئلاً كما اسلفنا، وراساً للفتوة وسيداً لها، وذكر في الخبر ما نصه " فان اربابها نسبوا انفسهم اليه وصنفوا في ذلك كتباً وجعلوا لذلك اسناداً انهوه اليه وقصروا عليه وسموه سيد الفتيان"⁽⁴⁹⁾.

ان مسألة اقتداء أصحاب الفتوة من اهل التصوف بالامام علي عليه السلام جعل الكثير يعتقد انهم قد انتموا الى المذهب الشيعي سواء الاثنا عشري⁽⁵⁰⁾ أو الإسماعيلي⁽⁵¹⁾، وانهم أي أصحاب الفتوة يقولون بنظرية الامامة⁽⁵²⁾، ويمتن هذا الراي أوردته سبط ابن الجوزي (ت654هـ/1256م) في قضية شخص يدعى ابن الرسولي الخباز⁽⁵³⁾ الذي تزعم الفتيان وكان يجتمع بهم ويقوم بتوجيههم، اذ وجدت لديه نصوص قد كتبها التي يشم منها عبارات تتصل بالتشيع لعلي عليه السلام والقول بالامامة⁽⁵⁴⁾ حيث ذكر عنه انه قد كتب ما نصه " معز الفتيان بالفتوة، وجاعلها إرث الامامة والنبوة، وجعلها لأهلها أنساباً، وسماهم بها أحبباً، فهي حلاوة يجدها العارفون، ويقف عندها الراغبون، ويرغب فيها من عرف معانيها، وتسمو



إلى مراتبها نفس متعاطيها⁽⁵⁵⁾، وهو نص واضح كتبه ابن الرسولي ووجد عنده حينما تمت مداهمة مكانه الذي يجتمع به مع أصحابه واللقاء القبض عليهم وكان ذلك سنة (473هـ/1080م)⁽⁵⁶⁾.

وكانت الكثير من مجموعات الفتوة منتشرة في المشرق وأكثرها في خراسان، ويطلقون على زعيمهم الصوفي أو شيخهم اسم (المرشد الكامل) أو (الصوفي الأعظم)، وكانت لهم أماكن للاجتماع تسمى (النكر)، وغالباً ما كان يطلق عليهم لقب (المرد) لان اغلبهم شباب لم تكتمل لحاهم، كما يطلق بعضهم على بعض لفظ (داداش) و (داهش) وتعني باللغة الفارسية (اخ)، وأيضاً ناداهم بها عامة الناس⁽⁵⁷⁾، وبعد ان أصبحت الفتوة من سمات التصوف، كان رجال الفتوة يضعون على اسفل أيديهم خرقة من الصوف، وهي إشارة الى انتمائهم للتصوف، وعدت من مظاهر ارتباط الفتوة بالتصوف الإسلامي⁽⁵⁸⁾، كما انهم يرتدون ملابس صوفية يكون لونها ابيض نقي عكس ملابس بقية الصوفية ممن لا ينتمون الى مجاميع الفتوة التي تكون ملابسهم باللون الداكن⁽⁵⁹⁾، واصبح فتوة المشرق اكثر استقلالية عندما ملكوا (خانقات) خاصة بهم، كما يقوم رجال الفتوة في أماكن تجمعهم تلك بتناول العشاء معاً ثم يشكلون حلقة ينشدون فيها وكانوا يطبقون أصول السماع الصوفية كما هي⁽⁶⁰⁾.

وبعد هذا يمكن القول: ان الفتوة حركة اجتماعية دينية سياسية عملت في المجتمع على إحلال مكارم الاخلاق واعانه المظلومين وارجاع الحق الى اهله، ساعدت في ظهورها وارتباطها بالتصوف عوامل عديدة منها ما هو اجتماعي ومنها ما هو ديني وسياسي، وقد استلهمت أسسها من روافد عدة أهمها القرآن الكريم والسنة النبوية واخلاق وسيرة الامام علي، وال بيته الاطهار، فكان نموها نمواً سريعاً ساعدها في ان تكون قوة اجتماعية دينية كبيرة وسط المجتمع الإسلامي عامة والمشرقي خاصة، ذلك النمو الذي وجد ارضاً خصبة وروافد اجتماعية ودينية وسياسية كان لها دور افي تطوره.

المبحث الثاني - الملامتية:

اللامتية او ما عرف باسم (اللامية)، مشتقة من كلمة (لوم) العربية ويراد منها لوم النفس والناس⁽⁶¹⁾، واللامتية، هي مجموعة صوفية شبة غامضة وتكاد المعرفة بها منحصرة بما اورده السلمي (ت412هـ/1021م)، بالإضافة الى ما أورده أصحاب كتب التراجم والطبقات بخصوص بعض مشايخهم ومقتطفات بسيطة من سلوكهم⁽⁶²⁾، وقد عرفها الذهبي بقوله: "تخريب الظاهر، وعمارة الباطن، مع التزام الشريعة"⁽⁶³⁾، بالإضافة الى ذلك فإننا لا نكاد ندرك بوضوح طبيعة شخصية الملامتين، والا الأفكار الأساسية لجماعتهم تلك، وإذا قال قائل ان السلمي قد ذكر فيهم رسالة خاصة بطبيعته مذهبهم وسلوكياتهم فان الجواب هو ان اغلب ما ذكر لم يكن ذا صبغة إيجابية يمكن من خلالها ان نستشف



مدارك القوم، حيث كانت تلك الرسالة عبارة عن صفات يحذر منها السلمي ولا يحبذ ان تتواجد في الملاماتي، بالإضافة الى ذلك يمكن ان نتبين بعض الفوارق التي يتميز بها الملامتي من غيره من الناس سواء اكانوا صوفية او من عامة الناس، وليس هنالك تسليط موسع وشافٍ للحياة الروحية لديهم⁽⁶⁴⁾.

ويطلق عليهم سعيد نفيسي اسم (الصوفية المتطرفين)، لاختلافهم الملحوظ عن الصوفية العاديين سواء أصحاب السلك الزهدي او الفلسفي، بالإضافة الى ذلك صاحب ظهورهم مزمنة حالة من النفور الكبير التي واجها الملامتين ضمن اطار المجتمع-الغير شرقي- وكان ذلك النفور صادراً من العامة ومن الخاصة -الصوفية- وبالأخص صوفية البلدان الأخرى مثل العراق والشام ومصر لكن بعد سنوات بسيطة بداء تقبلهم واستساغة أفكارهم بصورة مقبولة الى حد ما مما ساعد في انتشار طريقتهم بصورة ملفته في عدة أماكن ابرزها الشام⁽⁶⁵⁾، ومن الجدير بالذكر هو ما قد حصل للملامتية فيما بعد من تقدير كبير واجلال مبالغ فيه من قبل ابن عربي (ت 638هـ/1240م)⁽⁶⁶⁾، حيث انه يصنفهم في المرتبة العليا من السالكين من اهل التصوف الكاملين⁽⁶⁷⁾، ويقول في موضع اخر ما نصه: "الذين حلوا من الولاية في أقصى درجاتها، وما فوقهم إلا درجة النبوة"⁽⁶⁸⁾، حتى انه يمكن ان يتوسم من كلامه المبالغة المفرطة، في موضع اخر حينما يلتمس لاحتجابهم عن الناس عذراً غريباً حينما قال: "لو ظهرت مكانتهم من الله للناس لاتخذوهم الهه"⁽⁶⁹⁾، ثم يكمل كلامه وتعظيمه لأهل الملامتية فيقول: "هذه الطريقة مخصوصة لا يعرفها كل احد، انفرد بها أهل الله"⁽⁷⁰⁾، ويعد البعض ان الملامتين هم رجال ثائرون على الكثير مما كان لدى الصوفية وغيرهم، وكان من الطبيعي ان يصنعوا اتجاهاً اتصف بالسلبية قياساً بما عاصره من اتجاهات ليوажوها نظاماً لم يكن مرضياً ومقنعاً لهم⁽⁷¹⁾.

وكان اول ظهورهم في خراسان حيث اختصت خراسان بهم اولاً، وكان منهم طائفة من الشيوخ الكبار الذين سلكوا طريق التصوف يمهدون لفكرهم هذا ويعدون الأسس ويعرفون الناس بهم، ثم بعد ذلك انتشر خارج خراسان ووصل الى العراق، ولكن في العراق لم يشتهر هذا الاسم وقلما تداولت السن اهل العراق ذكرهم في بادئ الامر⁽⁷²⁾، لقد كانت ارض خراسان حريصة على ان تكون لها شخصية ذات طابع استقلالي في الكثير من مفاصل الحياة واهمها الجانب الديني وما فيه من سلوكيات اهمها التصوف وما رافقه من فتوة ولامتية، لتكون طابع مميز لحياتها الروحية، التي التزمت بها والتف حول مبادئها المریدون⁽⁷³⁾، كما انهم لجوا الى النص القرآني حال الكثير من سلوكيات التصوف التي حاولت ان تجد مخرجاً شرعياً لتسميتها وافعالها كما تطرقنا لذلك في موضع السماع والفتوة في الصفحات السابقة، حيث كان لقولة تعالى: "وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ"⁽⁷⁴⁾ إشارة الى ذكر (اللوم) وهي أساس اعتقادهم وهذه الآية ترفع من قدر النفس اللائمة لصاحبها، تلك النفس التي تتصف بالتأنيب والمحاسبة



له على كل ما يصدر منه من أفعال واقتوال⁽⁷⁵⁾، وقوله تعالى: "يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ"⁽⁷⁶⁾، حيث تشير هذه الآية المباركة صفات العباد الصالحين الذين نالوا مرتبة كبيرة عند الله فاحبهم واحبوه، وانهم هؤلاء العباد اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين، وانهم اصحاب جهاد في سبيل الله، مخلصين له لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يهتمون لمديح الناس لهم ولا لذمهم⁽⁷⁷⁾.

لقد عد حمدون القصار (ت271هـ/884م)⁽⁷⁸⁾ اول قائد ومنتزعم للملامتية، وكان له الفضل في نشر هذه الطريقة وكان نشرها اول الامر في مدينة نيشابور ثم بعدها انتشرت في بقية الارحاء وخصوصاً العراق، ثم تبعة في ذلك أبو محمد سهل بن عبد الله التستري (ت283هـ/896م)⁽⁷⁹⁾، حيث فاق دورة في هذه الطريقة دور واثر مؤسسها حمدون القصار، كما ان الجنيد البغدادي (ت297هـ/909م)، كان من زعماء الملامتية بعد ان دخلت الى العراق⁽⁸⁰⁾، وعليه نرى ان عمليه القبول لدى الخاصة -الصوفية- والعامه اخذت بالنضج، فهذا الجنيد البغدادي الذي يعد من اقطاب التصوف البغدادي رغم انه مشرقي المولد تقبل أفكار الملامتية واصبح من زعمائها المعروفين، ومن شيوخ الملامتية الآخرين الذين كانوا اصحاب أثر واضح في انتشارها وبلورة افكارها، أبو حفص عمرو بن سلمة الحداد النيشابوري (ت264هـ/877م)⁽⁸¹⁾، وسعيد الحيري النيشابوري (ت298هـ/910م)⁽⁸²⁾ وعبد الله النيسابوري (ت329هـ/940م)⁽⁸³⁾، وغيرهم الكثير⁽⁸⁴⁾.

وكان هنالك انسجام كبير بين مبدا الفتوة واللامتية، ويمكن اعتبارها أوجه تشابه وقواسم مشتركة، وواجه التشابه بينهم كثيرة أهمها هي المروءة والعفة والإغاثة والصلاح وأيضاً وعدم الخوف من أداء الحق، وعدم اكترائهم لملامة الناس وتأنيبهم حينما يعيبون عليهم بعض افعالهم⁽⁸⁵⁾، حتى ان (الشيباني) ذهب الى القول: "كانت الملامتية شكلاً جديداً للفتوة الخراسانية بعد ان عمل على تطويعها وتطويرها الاضطراب الروحي الزائد الذي كان في قلوب الخراسانيين... لكن حمدون القصار لم يشأ ان يستمر على هذه الصورة الثابتة القديمة من الفتوة وانما دفعها في عجلة التطور درجة أخرى"⁽⁸⁶⁾.

وللامتية عدة اعتقادات اخذت بعضها من التصوف الفلسفي منها قولهم بوحدة الوجود - أي ان كل شيء هو الله - كما يرون ان الانسان يستطيع عبر مجاهدة النفس ان يتخلص من كل شر ويحوّله الى خير ينتفع به الناس، كما عملوا على معرفة النفس واعتبروها معرفة موصلة في نهاية المطاف الى معرفة الله جل شأنه، كما انهم يرون ان العشق للخالق هو طريق الخلاص والفلاح، وان العقل يبحث عن المصلحة، وان ذلك العشق الذي يحصل بين الخالق والمخلوق هو طريق الحق⁽⁸⁷⁾.

واما من ناحية الاختلافات التي بينهم وبين الصوفية العاديين، فهي جملة واسعة جدا من الاختلافات فعلى سبيل المثال ان الفرد الملامتي لا يجب عليه أن يظهر عبادته وزهده وعلمة وورعة امام الناس، باعتباره رياء وبيع للنفس ويعمدون الى اظهار قبائحهم وعيوبهم للناس، وهذا نقیض



الصوفية الذين يفتخرون بإظهار الزهد والرياضة والكرامات، وما إلى ذلك من أعمال أخرى⁽⁸⁸⁾، وايضاً يختلفون من ناحية اللبس فالملامتي يظهر بمظهر لا يختلف عن بقية الناس بشيء عكس الصوفي الذي تكون ملابسه مميزة ومعروفة للناس، ولا يتعبد بنفسه وهي لأشياء بالنسبة لهم، ويسعون إلى فنائها⁽⁸⁹⁾.

ولهم في العلاقة مع الله جل شأنه فلسفة، خاصة حيث يرى الفرد الملامتي ان سلوكه مع الله تعالى هو سر مقدس يجب ان يبقى بينه وبين خالقه ولا يجب ان يعرف به غيره، حيث يحيط ذلك الامر بالكثير من الحرص والكتمان، ووفق مفهومهم انهم غيورين على محبوبهم من ان يطلع الغير على صلتهم تلك، حتى انهم بالغوا اشد المبالغة في ذلك الامر فخوفاً من ان تتكشف اسرارهم التي يخفونها عن الخلق، وخشية من تسرب الغرور الى انفسهم اذا ظهروا امام الناس بما يوجب المدح والتعجب، يلجئون الى أفعال توجب سخط الناس عليهم والازدراء، ويكثر من الذم والتأنيب، وهذه هي روح الملامتية⁽⁹⁰⁾.

كما ان الملامتية قد عملوا على اظهار ما يلائم الناس ويليق بهم من أنواع المعاملات والأخلاق باستثناء قضية (اللوم)، وهي أكثر صفة مقتت فيهم من قبل عوام الناس⁽⁹¹⁾، وقد قسم الملامتين طريقهم الملامي على ثلاث أنواع مختلفة، هي⁽⁹²⁾:

1- ملامة استقامة السير: ويراد من هذا المسمى مراعاة معاملات الدين وفرائضه، وملامة الخلق ممن اختاروا هذا الطريق، حين تقصيرهم في ذلك، وفي بعض الأحيان لوم عامة الناس لكي يثيروا سخطهم ويكرهوا وجودهم لكيلا يصاب الملامتي بأفة العجب.

2- ملامة القصد: وهي ان يصبح الانسان ذو جاه كبير بين الناس، حتى يصبح ذو عز وشأن مرموق، وحينما يشعر ان قلبه قد صار ميالاً الى الجاه والدعة، ويشعر أيضاً بتعلق شديد بما لديه، واراد ان يتخلص من تلك الافه ويشغل قلبه بالحق جل شأنه، فيلجأ الى الملامة لنفسه وللخلق حتى في الأمور التي ليس فيها ضرر وفق تعاليم الشرع لينفر منه الخلق، حتى تضعف نفسه وتمحق العجب والرياء الذي سيطر عليها.

3- ملامة التترك: هي نوع من أنواع الملامة وتعتبر نوع شاذ وخارج عن تعاليم الإسلام وافه تصيب الشخص، حتى ان بعضهم عداها كفراً والحاداً وضرباً من الجنون، وتنص على ان يقوم الشخص بترك الدين وتشريعاته، ويرى ذلك الشخص ان ما يفعله صحيح وهو ملامة وتعذيباً لنفسه! حتى ان بعضهم لبس ملابس الصوفية العاديين وهو ليس بصوفي، في محاولة منه لمخالفة طريقته الملامية نكاية بهم.



وبمرور الأزمان ظهرت من الملامتية طريقة غريبة جداً يطلق عليها اسم (القلندرية)⁽⁹³⁾ او (الحيدرية)، وقد ذكر ابن بطوطة نبذه صغيرة عنهم اثناء رحلته بقوله: "هم الذين يجعلون حلق الحديد في أيديهم وأعناقهم وآذانهم ويجعلونها أيضاً في ذكورهم حتى لا يتأتى لهم النكاح!!"⁽⁹⁴⁾، وكما صار لبعضهم -القلندرية- تقليداً يقوم على حلق شعر رؤوسهم ولحاهم مع ترك الشارب وفي بعض الأحيان عمد رجالاً منهم الى حلق كامل الراس مع اللحية والشارب والحاجبان⁽⁹⁵⁾، كما ذكر عنهم عدم التقيد الكبير بالآداب الاجتماعية المتعارف عليها ضمن المجتمع الإسلامي واهمال الكثير منهم للواجبات الشرعية كما انهم عمدوا الى لبس جلود الحيوانات وخصوصاً الضأن⁽⁹⁶⁾.

الخلاصة

بعد ان أنهينا خوضنا في مضامير التغيرات السلوكية في التصوف الإسلامي المشرقي توصلنا لعدة نتائج وهي على النحو الاتي:

- 1- كان ظهور التصوف الإسلامي بصورته الصريحة ردة فعل قوية على طبيعة الحياة المادية في العصر الأموي التي تمثلت بالابتعاد عن الدين والغرق بالملذات، حيث زهد الناس في الدنيا واقبلوا على العبادة والزهد.
- 2- يظل تعريف التصوف وتسميته موضوعاً للنقاش والاجتهاد، ولا يوجد تعريف واحد متفق عليه؛ والسبب اختلاف المدارس والمشارب الخاصة بالتصوف وتباين الأفكار والرؤى بين شيوخه.
- 3- ظهرت ضمن أفكار وسلوكيات التصوف ما عرف بالفتوة التي هي بالأساس أقدم من تاريخ ظهور التصوف الإسلامي لكنها صهرت في قالب التصوف وصيغت بصيغ إسلامية تحمل في طياتها روح التصوف وأخلاقه.
- 4- أن الفتوة في التصوف الإسلامي لها أهمية كبيرة، حيث تمثل حضوراً أخلاقياً وسلوكياً، يعزز من مبادئ التقوى والزهد والجهاد في سبيل الله.
- 5- يعتبر أصحاب الفتوة الإمام علي عليه السلام أساساً لهم لعدة أسباب، أهمها: صفاته وأخلاقه القيادية، ودوره في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وتقديمه نموذجاً للعدالة والشجاعة.
- 6- يربط اهل الفتوة أنفسهم بسلسلة يسمونها سلسلة الفتيان او الفتوة تمتد الى آل البيت (عليهم السلام)، وهذا يعزز من مكانة وشرعية اهل الفتوة.



- 7- الفتوة في التصوف ليست مجرد قوة جسدية، تستخدم لفض النزاعات واسترداد الحقوق ونصرة المظلومين، بل هي قوة روحية وأخلاقية تتجلى في الإيثار، وكف الأذى، والعفو عن الآخرين.
- 8- ظهرت الملامتية، كرد فعل على ما اعتبروه زيفاً وتظاهراً في بعض سلوكيات متبعي التصوف، يرى المؤمنون بالملامتية أن الدين معاملة بين العبد وربّه، وأن إظهار الزهد والورع للناس هو نوع من الرياء، لذا تعمدوا الظهور بمظهر مخالف لظاهر الشرع لجلب الملامة لأنفسهم.
- 9- يؤكد الملامتية على أهمية الإخلاص، ويرون أن كتم الأحوال والأعمال هو قمة الإخلاص لله عزوجل.
- 10- تطورت الملامتية في العصور اللاحقة حتى أصبحت تتبع سلوكيات غريبة أدت الى نفور اجتماعي وصوفي كبير منها، وتلك السلوكيات لم تكن إسلامية خالصة وإنما جاءت من ثقافات أخرى.



الهوامش:

- (1) ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ، ص611؛ ماسنيون، وعبد الرازق، التصوف، ص26.
- (2) ينظر: برجسون، منبع الأخلاق والدين، ص234-235؛ بدوي، تاريخ التصوف، ص37-38.
- (3) الشيببي، صفحات مكثفة، ص13.
- (4) السلمي، طبقات الصوفية، ص131.
- (5) الطوسي، اللمع، ص45.
- (6) السحمراني، التصوف، ص18.
- (7) ينظر: ابن الجوزي، تلبيس ابليس، ص145؛ عفيفي، التصوف، ص33.
- (8) ينظر: الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص21؛ السحمراني، التصوف، ص15.
- (9) السحمراني، التصوف، ص17.
- (10) ومن تلك النظريات التي تناولت أصل تسمية التصوف هي نظرية الصف وهي إشارة الى ان أصحاب التصوف عبارة عن صف واحد متماسك في الفكر والسلوك، بالإضافة الى كلمة سوفي وهي كلمة يونانية الأصل وكلمة صوفانة وهي عشبة صحراوية وغيرها من الفرضيات الأخرى. ينظر: البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، ص27؛ جواد، التطور التاريخي، ص75؛ عفيفي، التصوف الثورة الروحية، ص34.
- (11) الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص23.
- (12) ينظر: شافوليه، التصوف والمتصوفة، ص71-72.
- (13) ألهي ظهير، التصوف المنشأ، ص44.
- (14) ابن منظور، لسان العرب، ج15/ ص147.
- (15) ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج39/ ص213-214.
- (16) القشيري، الرسالة القشيرية، ج2/ ص380.
- (17) المصدر نفسه، ج2/ ص381.
- (18) المصدر نفسه، ج2/ ص381.
- (19) المصدر نفسه، ج2/ ص381.
- (20) نفيسي، مصادر التصوف، ص159.



- (21) ينظر: مجموعة مؤلفين، تاريخ العرب، ص130، ص140-ص146؛ الدسوقي، الفتوة، ص11-ص121.
- (22) خاتشاتريان، أهل الفتوة، ص27.
- (23) المرجع نفسه، ص29.
- (24) اسمه عبد الرحمن بن مسلم، وهو صاحب الدعوة، وهازم جيوش الامويين، ظهر بمرو في سنة 129هـ/746م، ونشر دعوة بني العباس وقاد جيوشهم في المشرق، وفي سنة 131هـ/748م استولى على إقليم خراسان. قتله المنصور العباسي بعد أن ظهر العصيان، وقيل: خوفاً من أن ينتزع منه الخلافة بعدما رأى حب الناس له. الدينوري، الاخبار الطوال، ص337؛ ابن الاثير، الكامل، ج5/ص56؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/ص145.
- (25) نفيسي، مصادر التصوف، ص159.
- (26) خاتشاتريان، أهل الفتوة، ص28.
- (27) الشيببي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج2/ص223.
- (28) خاتشاتريان، أهل الفتوة، ص89.
- (29) سورة الكهف، الآية: 13.
- (30) الخطيب البغدادي، موضح أوهم الجمع، ج1/ص145.
- (31) سورة الكهف، الآية: 10.
- (32) السورة الكهف، الآية: 30.
- (33) سورة الكهف، الآية: 60.
- (34) أحمد بن خضرويه البلخي، وهو من كبار مشايخ خراسان صاحب أبا تراب النخشي وحاتم الأصم، وهو من مشايخ خراسان بالفتوة، وكان من الطبقة الثالثة من مشايخ التصوف. السلمي، طبقات الصوفية، ص95؛ ابن الملقن، طبقات الاولياء، ص37.
- (35) هو علي بن أحمد بن سهل، كان أوحد فتيان خراسان، وصحب ابن عطاء وابو عمرو الدمشقي، وهو من أعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد وعلوم المعاملات وأحسنهم طريقة في الفتوة، وكان ذا خلق متديناً متعهداً للفقراء. السلمي، طبقات الصوفية، ص342؛ القشيري، الرسالة، ج1/ص139؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج7/ص854.
- (36) أبو حفص الحداد الصوفي النيسابوري، قيل ان اسمه عمر بن سلمة وقيل: عمرو بن مسلم، ونسبه الحداد جاء من صناعة الحدادة، وقيل: الى قرية بقومس، كان فقيهاً فاضلاً في الحديث



- والتصوف، لقب بالعارف بالله. ينظر: السلمي، طبقات الصوفية، ص265؛ السمعاني، الانساب، ج4/
ص78؛ اليافعي، مرآة، ج2/ ص132- ص133.
- (37) ينظر: السلمي، الفتوة، ص5- ص6.
- (38) المصدر نفسه، ص6.
- (39) المصدر نفسه، ص6.
- (40) المصدر نفسه، ص7.
- (41) المصدر نفسه، ص12.
- (42) المصدر نفسه، ص20.
- (43) ينظر: المصدر نفسه، ص6- 99.
- (44) خاتشاتريان، اهل الفتوة، ص90-91.
- (45) المقصود هو مسألة مبيت الامام علي عليه السلام في فراش النبي الاكرم، ليلة الهجرة المباركة حينما ارادت قريش قتله. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج6/ ص434؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج6/
ص271.
- (46) سورة الدهر، الآية: 8- 9.
- (47) لتفسير هذه الآيات المباركة ومعرفة القصة الكاملة لها: ينظر: القشيري، لطائف الإشارات،
ج3/ ص662- ص663.
- (48) ينظر: الشيباني، الصلة بين التصوف والتشيع، ج2/ ص197- ص198.
- (49) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج1/ ص9.
- (50) من فرق المذهب الشيعي الذي يعتبر أقدم المذاهب الإسلامية القائل بأحقية الامام علي عليه السلام وابنائه بالخلافة، فقيل: انهم ظهروا ايام النبي (صل الله عليه وآله وسلم)، وان كلمة التشيع وردت على لسانه حيث روى عن جابر بن عبد الله أنه قال : كنا عند النبي (ﷺ) فأقبل علي عليه السلام، فقال النبي (صل الله عليه وآله وسلم): "والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة" وقيل: انهم ظهروا في آخر عصر عثمان، ونما هذا المذهب في عهد الامام علي عليه السلام، والاثنى عشرية هم من اكبر فرق الشيعة ويقولون بإمامة اثنا عشر اماماً معصوماً اولهم الامام علي عليه السلام واخرهم هو محمد المهدي عليه السلام وهو حي غائب يظهر باخر الزمان ليقم الدين الصحيح. الشهرستاني، الملل والنحل، ج1/ ص146؛ السيوطي، الدر المنثور، ج8/ ص589؛ ابو زهرة، تاريخ المذاهب، ص30.
- (51) من الفرق الشيعية الكبيرة حيث يرى اصحابها ان الامامة انتقلت من جعفر الصادق عليه السلام الى ابنه اسماعيل، وهم يتفقون مع الشيعة الاثنا عشرية بخصوص الانمة الى الامام جعفر الصادق عليه السلام،



والامامة لديهم مستمرة الى الوقت الحاضر حيث كلما يموت امام لديهم يتم تنصيب اخر وهي بالوراثة وليس بالتكليف. الشهرستاني، الملل، ج1/ ص191؛ لويس، اصول الاسماعلية، ص69. (52) تقوم هذه النظرية لدى الشيعة على اساس أن الامامة منصب ألهي، وان خلود وبقاء الدين يرتكز على وجود امام ولا يمكن ان يكون هنالك فراغ بعد رحيل النبي (صل الله عليه واله وسلم)، فيشغل الامام ذلك الفراغ، ويتولى مسؤولية حماية الدين والامة من اي خطر؛ حيث يروى عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) بخصوص اهمية الامام انه قال: "لو أن الامام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله". ينظر: الكليني، الاصول من الكافي، ج1/ ص179؛ اللنكراني، حماة الوحي، ص17- ص18.

(53) لم نعثر له على ترجمة في كتب التاريخ ولا في كتب الانساب ولا التراجم وما الى ذلك، حيث كانت شخصيته مجهولة تقريبا الا ما ذكره الصفدي حينما قال: "محمد بن عبد الباقي بن المؤمل ابن الرسولي الخباز أبو نصر الأديب الشاعر قال ابن النجار كان حسن الشعر مليح الخط" ونحن نرجح انه لربما المقصود بهذه الترجمة هو الشخص المذكور في المتن أعلاه. ينظر: الوافي بالوفيات، ج3/ ص173.

(54) الشيببي، الصلة بين التصوف والتشيع، ص199.

(55) مرآة الزمان، ج19/ ص352.

(56) بعد رجوعنا للنص الأصلي لأحضنا وجود سلسلة يذكرها ابن الرسولي تبدأ بالنبي ادم (عليه السلام) وتنتهي بالنبي محمد (صل الله عليه واله وسلم) وذكر سبط ابن الجوزي ان ابن الرسولي ذكر سلسلة حتى تنتهي الى زعماء الفتوة في زمانه، لكن الفقهاء من المذهب الاخر أفتوا باستئصال تلك الأسماء، وأحلوا نهب دار ابن الرسولي ودور من معه، وقد ايد ذلك الامر أكثر من مئة من الاشراف والاعيان، ونحن نرى ان تلك الأسماء التي تم حذفها ما هي الا سلسلة الفتوة التي يذكر فيها الامام علي (عليه السلام) وابنائهم. مرآة الزمان، ج19/ ص352.

(57) ينظر: نفيسي، مصادر التصوف، ص161- ص162.

(58) المرجع نفسه، ص173.

(59) المرجع نفسه، ص174.

(60) المرجع نفسه.

(61) الفراهيدي، كتاب العين، ج8/ ص348.

(62) عفيفي، الملامتية، ص15.

(63) سير اعلام النبلاء، ج13/ ص50.



- (64) عفيفي، الملامتية، ص15.
- (65) مصادر التصوف، ص187.
- (66) محمد بن علي بن محمد، المعروف بابن عربي، ولد سنة 560هـ/1164م في مرسية، سافر الى قرطبة وإشبيلية ومكة ودمشق وبغداد، وهو أحد أشهر المتصوفين الفلاسفة، لقب بالشيخ الأكبر. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج14/ ص273.
- (67) الفتوحات المكية، ج3/ ص46.
- (68) المصدر نفسه، ج1/ ص235.
- (69) المصدر نفسه، ج3/ ص46.
- (70) المصدر نفسه، ج3/ ص46.
- (71) عفيفي، الملامتية، ص15.
- (72) أبو حفص السهروردي، عوارف المعارف، ص55.
- (73) الشيباني، الصلة بين التصوف والتشيع، ص277.
- (74) سورة القيامة، الآية: 2.
- (75) عفيفي، الملامتية، ص16.
- (76) سورة المائدة، الآية: 54.
- (77) عفيفي، الملامتية، ص16.
- (78) حمدون القصار بن أحمد بن عمارة، من كبار الصوفية، كان شيخ الملامتية بنيسابور ومنه انتشر مذهب الملامة، كان عالما فقيها، عُرف بالورع والتقوى ورواية الحديث. السلمي، طبقات الصوفية، ص140.
- (79) سهل بن عبد الله بن يونس، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم المتكلمين، لقب بسلطان الطريقة، أصبح فيما بعد شيخ الملامتين وسيدهم. السلمي، طبقات الصوفية، ص167؛ فريد الدين العطار، تذكرة الاولياء ص326.
- (80) نفيسي، مصادر التصوف، ص190.
- (81) المرجع نفسه، ص190.
- (82) هو سعيد بن إسماعيل بن سعيد، أصله من الري، وكان من اكابر الملامتية، ذو قبول واسع لدى اهل التصوف، صحب يحيى بن معاذ وشاه بن شجاع. السلمي، طبقات الصوفية، ص140؛ فريد الدين العطار، تذكرة الاولياء، ص475.



(83) أبو محمد عبد الله بن محمد ابن منازل، من أجل مشايخ نيسابور، ولد في نيسابور وتوفي فيها، وهو شيخ الملامتية، له طريقة تفرد بها. السلمي، طبقات الصوفية، ص277؛ القشيري، الرسالة، ج1/ ص120.

(84) نفيسي، مصادر التصوف، ص190.

(85) المرجع نفسه، ص191 \.

(86) الصلة بين التصوف والتشيع، ج2/ ص227.

(87) نفيسي، مصادر التصوف، ص187.

(88) ينظر: عفيفي، الملامتية، ص15؛ نفيسي، مصادر التصوف، ص192.

(89) نفيسي، مصادر التصوف، ص192.

(90) ينظر: السلمي، رسالة الملامتية، ص2- ص7.

(91) عفيفي، الملامتية، ص17.

(92) المرجع نفسه ص17.

(93) طريقة صوفية مختلفة عن بقية الطرق لا يركز متبعوها بتحصيل العلوم العقلية، وإنما يعتمدون على المجاهدات العنيفة ولوم النفس ونكرانها وإيذاء الجسد لبلوغ النقاء الروحي، ظهرت في الدولة الخوارزمية ومؤسسها هو قطب الدين حيدر (ت618هـ/1221م)، انتشرت في الكثير من البلاد حتى وصلت الى بلاد الشام وغيرها. كمال الدين الأدفوي، الموفي بمعرفة التصوف، ص18؛ المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج3/ ص227؛ مبارك، التصوف الإسلامي، ج1/ ص322.

(94) ابن بطوطة، تحفة النظار، ج3/ ص56.

(95) ابن كثير، البداية والنهاية، ج16/ ص448.

(96) الشيبني، الصلة بين التصوف والتشيع، ص233.



قائمة المصادر والمراجع:

خير ما نبدأ به القرن الكريم

أولاً: المصادر الأولية

1. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد (ت630هـ / 1233م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت-1417هـ / 1997م).
2. ابن أبي الحديد، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت655هـ / 1258م)، شرح نهج البلاغة، د.ط، (طهران، 1376هـ / 1956م).
3. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت779هـ / 1377م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي، (بيروت- 1953م).
4. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ / 1201م)، تلبيس إبليس، دار الفكر، (بيروت- 1421هـ / 2001م).
5. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت808هـ / 1405م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط2، بيروت دار الفكر، 1408هـ / 1988م.
6. ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت681هـ / 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت-1398هـ / 1978م).
7. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711هـ / 1311م)، لسان العرب، ط3، دار صادر، (بيروت- 1414هـ).
8. أبو حفص السهروردي، عمر بن محمد بن عبد الله (ت632هـ / 1234م)، عوارف المعارف، تحقيق: عبد الحلیم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، (القاهرة- د.ت).
9. البيروني، محمد بن أحمد (ت440هـ / 1048م)، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، ط2، عالم الكتب، (بيروت-1403هـ / 1982م).
10. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ / 1070م)، موضح أو هام الجمع والتفريق، تحقيق: عبد المعطي قلجي، دار المعرفة، (بيروت- 1407هـ / 1986م).
11. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت282هـ)، الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، دار أحياء الكتب العربية، (دم-1960م)،



12. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ / 1348م)، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، (القاهرة- 1427هـ / 2006م).
13. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، (بيروت- 1424هـ / 2003م)
14. الزبيدي، محمد مرتضى (ت 1205هـ / 1790م تقريباً)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة محققين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت- 1385هـ / 1965م).
15. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت 562هـ / 1166م)، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وآخرون، دائرة المعارف العثمانية، (حيدر اباد- 1382هـ / 1962م).
16. السلمي، محمد بن الحسين بن محمد (ت 412هـ / 1021م)، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت- 1418هـ / 1998م).
17. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، (بيروت- 1420هـ / 2000م).
18. الطوسي، عبد الله بن علي (ت 378هـ / 988م)، اللمع في التصوف، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب العلمية، (القاهرة- 1379هـ / 1960م).
19. فريد الدين العطار، محمد بن أبي بكر بن اسحاق (ت 618هـ / 1221م)، تذكره الاولياء، ترجمة: محمد بن محمد الاصيلي (ت بعد 836هـ / 1432م)، تحقيق: محمد أديب الجادر، د.ط، (دمشق - د.ت).
20. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت 465هـ)، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، (القاهرة - د.ت)،
21. لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة- د.ت)
22. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر، (د.م- 1417/1420هـ)
23. الكلاباذي، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم (ت 380هـ / 990م)، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، (بيروت- د.ت).
24. الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت 329هـ / 941م)، الأصول من الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط3، دار الكتب الإسلامية، (طهران- 1388هـ / 1968م).
25. مجموعة مؤلفين، تاريخ العرب، دار غندور، (بيروت- 1407هـ / 1986)، ص130 / ص140- ص146؛ الدسوقي، عمر، الفتوة عند العرب، د. ط، (القاهرة - 1379هـ / 1959م)



26. المقريري، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت845هـ/1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، (بيروت- 1418هـ/1997م).
27. ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد (ت804هـ/1401م)، طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شريبه، ط2، مطبعة الخانجي، (القاهرة- 1415هـ/ 1994م).
28. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت548هـ/1153م)، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، (القاهرة-1387هـ/ 1968م).
29. سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزُّ أوغلي بن عبد الله (ت654هـ/1256م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: مجموعة محققين، دار الرسالة العالمية، (د.ط-1434هـ/2013م).
30. الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو (ت170هـ/786م)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، (د.م-د.ت).
31. اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي (ت768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (بيروت- 1417هـ/1997م).



ثانيًا: المراجع الحديثة والمعاصرة

32. بدوي، عبد الرحمن (ت 1423هـ/2002م)، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني الهجري، وكالة المطبوعات، (الكويت- 1395هـ/ 1975م).
33. الدسوقي، عمر، الفتوة عند العرب، د.ط، (القاهرة- 1379هـ/1959م).
34. السحمراني، أسعد، التصوف منشؤه ومصطلحاته، دار النفائس، (بيروت- 1408هـ/1987م).
35. الشيبلي، كامل مصطفى، الصلة بين التصوف والتشيع، ط2، دار الأندلس، (القاهرة- 1389هـ/1969م).
36. الشيبلي، صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، دار المناهل، (بيروت- 1418هـ/1997م).
37. عفيفي، أبو العلا، التصوف: الثورة الروحية في الإسلام، دار الشعب، (بيروت- د.ت).
38. عفيفي، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، مؤسسة هنداوي، (د.م- 1439هـ/2017م).
39. ظهير، إحسان إلهي التصوف: المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة، (الاهور- 1406هـ/1986م).
40. جواد، عبد الرضا حسن، التطور التاريخي للتيار الصوفي في بغداد، ط3، د.ط، (د.م- د.ت).
41. اللكراني، محمد جواد، حماة الوحي، اعتماد قم، (قم المقدسة- 1425هـ/2004م).
42. مبارك، زكي، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مطبعة الرسالة، (القاهرة- 1357هـ/1938م).

ثالثًا: المراجع الأجنبية المترجمة

43. برجسون، هنري، منبع الأخلاق والدين، ترجمة: سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (القاهرة- 1391هـ/1971م).
44. خاتشاتريان، ألكسندر، أهل الفتوة والفتيان في المجتمع الإسلامي، ترجمة وتقديم: صالح زهر الدين، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، (بيروت- 1419هـ/1998م).
45. شافوليه، جان جاك، التصوف والمتصوفة، ترجمة: عبد القادر قنيني، د.ط، (بيروت- 1420هـ/1999م).
46. لويس، برنارد، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، تقديم: خليل أحمد خليل، دار الحداثة، (بيروت- 1401هـ/1980م).
47. ماسنيون، لويس، ومصطفى عبد الرازق، التصوف، ترجمة: إبراهيم خورشيد وآخرون، بيروت دار الكتاب اللبناني، (بيروت- 1405هـ/1984م).



48. نفيسي، سعيد، مصادر التصوف الإيراني، ترجمة: مازن النعيمي ويوسف جرادات، تقديم: محمد الندوي، دار الرافدين، (بيروت-1440هـ/2019م).